# علم اللسان الحديث في القرآن

**أ.د. عبد الجليل مرتاض**

**جامعة تلمسان**

dr.jalil@live.fr

**1) لماذا هذا الموضوع ؟**

مما بات لزاماً علينا في مجال البحث اللساني الحديث أن نلتفت التفاتاً متأنّياً إلى استثمار معاني وإشراقات قرآنية تارة تومض بشكل صريح، وتارة أخرى تلمّح بوجه ضمني، إلى أفكار تتقاطع وتتفاعل مع نظريات وآراء لسانية حديثة، غير قليل منها لا يبرح محل جدل، وإقدام وإدبار، حتى وقتنا هذا.

إن المعجزة القرآنية معجزة شاملة في كل مواطن الحياة، وضروب العلوم، واللغة والإبداع والفنون، ومن ثمّ، فإن هذه الدراسات اللغوية الحديثة المسماة لدى الغربيين linguistique، وعندنا، نحن العرب، لسانيات، وجَب وجوباً أن تخضع طوعاً أو كرهاً إلى هذه المعجزة الربانية الشاملة، خاصة في ظل تعريفها الجديد منذ زهاء قرن بأنها الدراسة العلمية للغة، وهل لهذه الدراسة العلمية أن تشخّص صوتاً لغوياً واحداً في أية لغة من اللغات خارج خلق الله، وما ركّبه في مخلوقاته من أعضاء، وجوارح، وأجزاء،. لا يتم إصدار صوت واحد بدونها ؟.

أجل، إن الدراسات اللسانية بمختلف نظرياتها الجديدة الرهيبة، سواء شعرت بذلك أم لم تشعر، فإنها لا تحيد إلا من باب الاجتهاد المشروع، والبحث العلمي العميق، والتحليق الفكري البعيد بفعل التطور التكنولوجي، وتنوع وسائل التبليغ والاستقبال، والدقة في الوصف والتحليل والتشخيص، عما أشارت إليه مواضع من القرآن، منها ما يقف عليه أي باحث هاوٍ، ومنها لا يُدْرِك بَعْضَهُ إلا باحثٌ ضليع رُزِقَ قدراً متواضعاً من المسح والاطلاع على ما ورد في القرآن الكريم من جهة، وما جدّ عالمياً في حقول اللسانيات من نظريات، ومدارس، ومناهج، وأفكار،... من جهة أخرى، وهذا الباحث الثاني، في نظري، لم يُولَدْ بعدُ، ولا أحسب أنه سَيُولد يوماً ما، ومنها مايستعصي استعصاء، ويحرن حروناً، وأنك كلما تدانيت منها تدانياً، تناءى عنك تنائياً.

ولكن الطرح السابق المغمور بمسحات تشاؤمية، لا يمنع باحثاً لغوياً تعاطى البحث اللساني عربياً وغربياً مدة عقود من الزمن، من أن يُدْلِيَ دُلِيَّتَه في هذا اليمّ الذي لا ساحل ولا عمق له، لعله يَجْرَع منها جُرْعة من الجُرَع.

ولعلّ أهمّ ما نريد أن نثيره في هذا الموضوع هو هدايتنا من الله لأن نسعى مخلصين لوجهه للوقوف على مدى ما يربط علم اللسان الحديث بما جاء في القرآن الكريم من إشراقات تصبّ في الاتجاه نفسه، وهذه الإشارة ليست عاطفية ولا ذاتية ولا صلة لها بالعقيدة والإيمان، ولا تجعلنا في غفلة من أمرنا، لندّعي على القرآن الكريم ادعاءات هو منها منزّه وبريء، فالقرآن الكريم قبل أن يكون أي شيء، هو كتاب هداية وتنوير ليخرج العباد من الظلمات إلى النور، هدايةٍ لا يقوم مقامَها

أيُّ علمٍ من العلوم ولا أيّ فنٍّ من الفنون، لكن هذه الهداية ليس ضرورة أن تكون نواة قَبْلِيّة إجبارية لأي اختراع علمي دنيوي، فالخالق – سبحانه – منزّه عمّا قد يهتدي إليه مخلوقه خدمة لعباده بفضل ما ينوّر به عقله وبصيرته في ابتكار من الابتكارات أو اكتشاف من الاكتشافات في حدود كونه الذي لا أبعاد، ولا حجم له،فالله عزّ وجلّ، شاءت إرادته أن يُلْهِم من يشاء من عباده، قدراً من العلم، بصرف النظر عن علاقة هذا العبد بربه كقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٥، ولذا جاء بعد نهاية هذه الآية مباشرة: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٥٦، مثلما شاءت إرادته ألاّ يشرك أحداً في شيء من علمه: ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ﴿١١٠﴾ ﴾ طه: ١١٠ كما شاءت إرادته أن يكون علمنا علماً تعاقبياً مقسَّطاً لا تزامنياً شمولياً ﴿ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ النحل: ٨،ولذا جاء مباشرة بعد هذه الآية، قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾ النحل: ٩

وما ألمحنا إليه من تساوي العباد في الإحاطة بما شاء الله لهم، دون مراعاة لعقيدة ولا دين، أدركه العبقري ابن خلدون، وهو يتحدث عن العلوم العقلية وأصنافها بقوله: "وأما العلوم العقلية التي هي طبيعيّة للإنسان، من حيث إنه ذو فكر، فهي غير مختصّة بِمِلّة، بل بوجه النظر فيها لأهل الملل كلهم، ويستوون في مداركها ومباحثها"[1]، حتى وإن كان ابن خلدون لم يدخل علم اللغة في العلوم العقلية، وهو محق في ذلك، لأن هذه المادة مما يتجانس مع العلوم الإنسانية.

**2) أثر الأديان في نشأة الدرس اللغوي**

**2-1) بلبلة الألسنة أو برج بابل**

تفيدنا بعض الوثائق القديمة بأسطورة بلبلة الألسن بين ولدي نوح المعروفين بسام وحام، حيث" جُعِلَ في ولد سام تسعة عشر لساناً، في حين جُعِلَ في ولد حام سبعة عشر لساناً، بل تشير الأسطورة إلى أن نصيب أخيهما الثالث المسمى يافثاً من هذه البلبلة بلغ ستة وثلاثين لساناً، وبعد ذلك تشعبت اللغات وتفرقت الألسن[2].

وفي قصة أخرى أن رياحاً هاجت هيجاناً شديداً فنسفت صرح الملك النمروذ أحد أحفاد نوح ببابل من أرض العراق، فبات الناس ولسانهم سريانيّ، وأصبحوا "وقد تفرقت لغاتهم على اثنين وسبعين لساناً، فسُمّي الموضع من ذلك الوقت بابل"[3]،وورد الوعي بالمشكلة اللغوية أيضاً ماثلاً في النصوص الخاصة ببرج بابل في سفر التكوين من التوراة، ويظهر أن الأخباريّين العرب القدماء تناقلوا تبلبل الألسنة بين أولاد نوح مما ورد في التوراة، فضلاً عما كان يشيعه الأحبار من قصص وحكايات وجدت صداها بالرضى والقبول لدى غير واحد من المؤرخين العرب القدماء.

**2-2) "الدين" أثره في نشأة علم اللغة الهندي**

وبالنسبة لعلم اللغة الهندي، فإن صناعته مؤسسة على جملة من الاعتبارات الدينية، والأخبار الميثولوجية التي لم تؤثر في تطوره واستوائه، مع ذلك، تأثيراً سلبياً، بل كانت أحد العوامل القوية التي دفعت الحركة اللغوية عندهم خطوات عملاقة لم تشهد الدراسات الغربية مثيلاً لها إلا في القرن التاسع عشر، بفعل اكتشاف اللغة السنسكريتية (1786م) من قبل سير وليام جونس.

إن الدراسات اللغوية في الهند نشأت وترعرت على أركن الدين البراهمي الذي يحوي نصوصاً سريّة، وأطلق على هذه الفترة مصطلح الفترة الفيديّة، وكانت السنسكريتية المستخدمة في الكتب المقدسة للهندوس تحتل مكانة أسمى من أي لغة أو لهجة هندية أخرى لسبب روحي عندهم، بل لا تزال هذه اللغة العتيقة حتى يومنا هذا متبنَّاة لديهم في مجال الآداب والعلوم، مثلما كانت عليه منذ أكثر من ألفين وخمسمائة عامة، ولذا لم يكن من باب الفراغ أن يُلْهَمَ ذلك العلاَّمة براهمان بانِيني الذي أدْهَش تراثه اللساني العقلية الغربية الحديثة، أولَ عملٍ لساني تركيبي عرفه الإنسان في تاريخ علم اللغة، والمَصُوغِ في أربعة آلاف جملة قصيرة[4].

ويَنْجُم عمّا سلف أن الشعوب التي لم تكن تمتلك نصوصاً مقدَّسة، لم تكن تفكّر تفكيراً جدياً وعميقاً في إنشاء علم جامع مانع للغاتها ولهجاتها، لأن السلوكات الدينية المطبوعة بطابع شفهي لا تجعل ممارسيها يفكرون لحظة في صناعة علم لساني يصونها، لأنها ليست قائمة على نصوص تُصَوَّت أو تُرَدَّد يخاف أصحابها ضياعها أو تزييفها، ولذلك، فلا نعجب كثير العجب إذا وجدنا علم اللغة الذي بلغ أَشُدَّه لدى الهنود يقابله طفولة عند اليونان، هذه الطفولة التي سوف تشبّ في ضوء محاورات أفلاطون، وتبلغ كهولتها في التعقيدات المنطقية لتلميذه أرسطو وما تبعهما بعد ذلك من مدارس، ولاسيما الرواقيون الذين توصّلوا إلى فصل الدراسات اللغوية عن التأملات الفلسفية، حتى وإن بقوا متمسّكين بأن "النحو ينبغي أن يطابق المنطق، وينبغي أن تطابق الفصائل أو الأقسام النحوية أقسام المنطق أو مقولاته"[5].

**3) القرآن وأثره في اهتمام العرب بالوعي اللغوي**

**3-1) ارتباط العربية بفهم الشريعة**

وبالنسبة لأثر القرآن في بروز الدرس اللغوي عند العرب، فإن ثمت أقوالاً، وروايات مبثوثة في أمات المصادر اللغوية والأدبية وطبقات الأعلام لا يخلو بعضها من مصداقية واقعية، لكن من الصعب عليك أن تهضمها كلها، لكون جزء منها ربما يعود بك إلى فترة النبوّة، هذه الأقوال تحمل في طياتها أوامر بالاعتناء بالعربية كالاعتناء بالفرائض، لكون فهم الشرع فهماً سليماً لا يحصل بفهم لسانه فهماً سطحياً أو سيّئاً، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾ إبراهيم: ٤ وممّا ذكره غير واحد من علماء اللسان العربي، ومنهم المبرد، أن الصدر الأول من أصحاب رسول الله * كانوا يعربون طبعاً "حتى خالطهم العجم، ففسدت ألسنتهم، وتغيرت لغتهم"[6]، وهذا ما عناه الزبيدي بقوله: "ولم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر إسلامها وماضي جاهليتها، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجاً، وأقبلوا إليه أرسالاً،

واجتمعت فيه الألسنة المتفرّقة، واللغات المختلفة، ففشا الفساد في اللغة العربية، واستبان منه في الإعراب الذي هو حليها، والموضِّح لمعانيها، فتفطَّن لذلك من نافر بطباعه سوء أفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب، فعظم الاشتقاق من فشوّ ذلك وغلبته، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم، إلى أن سبّبوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه، وتثقيفها لمن زاغت عنه"[7].

**2-3) القرآن يبث الشعور العامّ**

إن القرآن الكريم بثّ الشعور العلمي بما يحيط بالقوم، وبدون استثناء ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ الغاشية: ١٧ – ٢٠ ، أو كقوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ الرحمن: ٣٣ ، إلى غير ذلك من الآيات التي حثّت الإنسان الجديد على البحث والتقصّي والتجريب، فيما يموج ويسكن حوله من آيات ربّانية ماثلة في عناصر كونه، هي كلها حجة عليه، وبإمكانه بالثقافة والبحث العلمي أن يروّضها ويجعلها طوع بنانه، وهذا ما حاول السلف المبكّر أن يستوعبه ويضطلع به.

وما يهمنا من هذا الشعور العام بالتحول العلمي لدى القوم، ذلك الإحساس اللغوي الذي التفت العرب إليه، ولأول وهلة في تاريخهم،ـ حيث سرى في عقول فئة من صفوة القوم أو من ذوي الحلّ والعقد، وهو ما حاول أصحاب المبادرة الأولى لإقامة نواة علمية لصرح لساني عربي لاحق أن يجسّدوه في الحواضر والأمصار على أرض الواقع.

**3-3) روايات مبكرة تحث على التعلم**

وإذا أخذنا جزءاً من بعض الروايات التي تعود إلى عقود أولى من القرن الأول الهجري بعين الرضى والقبول، فإننا نقف على عبارات نبوية، وراشدية، وصحابية، وتابعية،... تحث كلها على تعلم العربية، وحفظ شواهدها، وتِبْيَانِ مُنَغَلَقِها،... من ذلك ما يُرْوَى عن النبي ﷺ قوله: ﴿أَعْرِبوا في كلامكم تعربوا في كتاب الله﴾[8]، ويُرْوَى عنه، عليه السلام، أيضاً: ﴿أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه﴾[9]، وقالت عائشة أم المؤمنين "تعلّموا الشعر، فإنه يعرب ألسنتكم"[10]، ويُنسب إلى عمر بن الخطاب أقوال وشواهد تأمر بتعلم العربية، وتصف مناقبها وأفضالها، منها قوله: "تعلموا العربية، فإنها تُنْبت العقل، وتزيد في المروَّة"[11]، ومنها "تعلموا العربية تحرزوا المروءة"[12]، ومنها: "تعلموا الفرائض والسنة واللحن كما تتعلمون القرآن"[13]، ولما وصل عمرَ بْنَ الخطابِ كتاب فيه "من أبو موسى"، فكتب عمر إلى عامله أبي موسى الأشعري "أَنِ اضْرِبْهُ سَوْطاً، واعزلْه عن عملك"[14]، ولّما خاطب رجل الحسن البصري بقوله: "يا أبو سعيد" أجابه: "كَسْبُ الدَّوانيق شغلك عن أن تقول: "يا أبا سعيد، ثم قال: تعلموا الفقه للأديان، والطب للأبدان، والنحو للسان"[15].

**4-3) العطاء على العربية والحرمان على اللحن**

ولسنا بحاجة ملحّة إلى إثبات نصوص أخرى، وهي كثيرة، صدرت عن الرعيل الأول من العلماء وذوي الشعور الأعلى بصيانة العربية، والتفكير في ابتكار علم نظري يقيها من الوهن والتلوث والتهجين، ومع ذلك نتمنى ألّا نكون فضوليين على مساحة هذا البحث ولا بعيدين عن موضوعه الجوهري، إذا عزّزنا الشعور اللغوي العربي المبكر بهذا النص:

"ودخل على عبد العزيز بن مروان رجل يشكو صهراً له فقال: إن خَتَنِي فعل كذا وكذا، فقال له عبد العزيز: وَمَنْ خَتَنْك؟ فقال: الختّان الذي يَخْتِن الناس، فقال عبد العزيز لكاتبه: ويحك! بم أجابني؟ فقال: أيها الأمير، إنك لحنت! ، وهو لا يعرف اللحن، كان ينبغي أن تقول: من خَتَنُكَ؟ فاشتغل عبد العزيز حتى صار من أفصح الناس، وكان يعطي على العربية ويحرم على اللحن، كان الرجل يأتيه، فيقول له: ممَّن أنت؟ فيقول: من بني فلان، فيقول لكاتبه: أعطه مائتي دينار! ودخل عليه رجل من عبد الدار، فقال له: ممن أنت؟ فقال: من بنو عبد الدار، فقال له: تجدها في جائزتك! فأمر له بمائة درهم[16].

**5-3) تطور الشعور اللغوي لدى العربي**

ومن معالم الوعي اللغوي عند العرب أيضاً بعد الإسلام أنهم جسّدوا هذا الوعي وترجموه ممارسة صَوْناً للسانهم أن أبا عمرو بن العلاء دخل متجراً، فعاين على أعدال التجار مكتوباً "أبو فلان"، فقال: "يا عجباً، أيَلْحَنُون ويربحون؟!"[17]، ويروى أن عمر بن عبد العزيز رأى قوماً أعاجم ينظرون في النحو، فقال: "لئن أصلحتموه لأنتم أوّل من أفسده"[18]، ورُوِي أيضاً أن رجلاً قال لبعض العلماء: "أسألك عن شيء من الغريب، فقال: هو كلام القوم، وإنما أنت وأمثالك فيه غرباء"[19]، بل من أشهر الروايات التي اتخذها العرب تعلة قاطعة لوضع علم اللسان العربي، تُعْزَى إلى لحن يُلْصَق بابنة أبي الأسود الدؤلي، التي خاطبت أباها مستفهمة، وهي تريد التعجّب بقولها: "يا أبتِ، ما أشدُّ الحرِّ؟!"، إلى جانب روايات ونصوص أخرى كثيرة نُطِقَتْ ملحونة في حركاتها الإعرابية، بما في ذلك آيات قرآنية.

**4) عبّر العرب عن كلامهم باللسان ؟**

**1-4) بين اللغة واللسان مبدئياً**

ولعل مربط الفرس، لماذا عبّر العرب، بما في ذلك القرآن، باللسان، ولم يعبّروا باللغة إلا نادراً؟ فنصوص ما قبل الإسلام حافلة باستعمال اللسان ليس فقط كأداة جارحة، بل كنظام أو نسق تواصلي عام، فاللسان يحوي نفسه وغيره، وأما اللغة فلا تحوي إلا نفسها، فعربية ما قبل الإسلام الغابرةُ كانت تضم عشرات اللغات بالمفهوم القديم أو اللهجات بالمصطلح الحديث، ولذا كان من الضلالة بمكان أن يعبّر القوم باللغة بدل اللسان، إلا ما ندر، ومن باب التغني والفخر، كقول شاعر قديم[20]:

أبـا ضُبَـيْـعَـةَ لا تَـعْجَـلْ بِـسَـيِّـئـةٍ ... إلى ابنِ عَـمِّـكَ، واذْكُــرْهُ بإحـسـانِ
إمَّـا تَراني وأثـوابـــي مُــقَـارِبَـةٌ ... ليـسَـتْ بِـخَـزّ، ولا من حُـرّ كَـتَّـانِ
فـإنّ في المجـد هِـمَّـاتي، وفي لغتـي ... عُـلْـوِيَّـةٌ[21]، ولساني غـيــرُ لَـحَّـانِ

حيث الشاعر ذكر لغته العلوية المشهورة بالفصاحة، ثم اللسانَ المتَعَاهَد فيه بإعراب الكلام مع بلاغته وفصاحته، والأهم من هذا، أنه عبر محلياً أو قبلياً باللغة، وعربياً باللسان، أي لغته جزء من اللسان العربي العامّ، ومنضوٍ تحت سلطته، وماثل في نسقه الكلي.

**2-4) عربية أم لسـان ؟**

ولربّما عبَّر علماء اللسان العربي القدماء تارة بالعربية، ومرة باللسان، من ذلك أن يونس بن حبيب (182ه) قال: "أوّل من تكلم بالعربية، ونسي لسانً أبيه، إسماعيلُ بْنُ إبراهيم"[22]، وكان تعقيب ابن سلاّم (139-231ه): "ولكن العربية التي عَنَى محمدُ بن عليٍّ[23]، اللسانُ الذي نزل به القرآن، وما تكلمت به العرب على عهد النبي ﷺ، وتلك عربية أخرى غير كلامنا هذا"[24]، فأنت ترى أن النص أشار إلى عربيتين اثنتين شهد ابن سلام لهما بأنهما مختلفتان، وفي زمن لا يتعدَّى المائتي سنة، في حين أنه لم يصف اللسان بذلك، وما فهمناه أن العربية عربيات، واللسان واحد، أو العربية، على أقل تقدير، ما يسمى اليوم اللغة تقابلاً باللسان، ويدعم هذا التوجّه قول أبي عمرو بن العلاء: "ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليومً بلساننا، ولا عربيتهم بعربيّتنا"[25]، لأن النظام اللساني الداخلي للتواصلات الجنوبية متباين إذا ما قيس بالنظام اللساني لعرب الشمال، فكيف إذا ما قِيسَتِ العربيّتان؟.

**3-4) معنى اللســان**

ليس هدفنا الحديث عَمَّا قاله الحكماء، وأنشده الشعراء، وساقه الأدباء، في معنى اللسان، بل أردنا فقط أن ندخل إلى معنى اللسان في القرآن من هذا الباب، ومحاولة تمييزه عن اللغة تارة، والعربية تارة أخرى، واستيحاء العبرة والحكمة من القرآن الذي عبّر عمّا يتواصل ويتفاهم به القوم من عرب وغير عرب، باللسان الذي يجوز فيه التذكير والتأنيث، فمن ذكّر جمعه على أفْعِلة، ومن أنّثه جمعه على أفْعُل، وذكر بعض علماء اللغة (أبو حاتم) أن التذكير أكثر، وهو في القرآن كلّه مذكَّر[26]، بل اللسان بعينه لم يسمعه الفرّاء – كما حكى- من العرب إلا مذكَّراً[27].

وأما إذا عُبِّر باللسان بوصفه جارحة الكلام عن الكلمة نفسها، فإن تأنيث اللسان حينئذ واجب، لأن العبرة بالمدلول لا بالدال، كقول الأعشى[28]:

إِنِّـي أَتَـتْـني لسـانٌ لا أُسَـرُّ بـهـا  مِـن عَلْوَ لا عَجَبٌ مـنها ولا سَـخَـرُ

وكذلك إذا قصدوا به الرسالة أو القصيدة أو اللغة،... وهذا كثير في كلامهم، حيث يَتْبَع الجمع معنى مفرده، لا المفرد معنى جمعه، وهذا هو منطق اللغة الطبيعي، لأن المفرد قد يستغني عن الجمع، بينما هذا الأخير لا يكسب هويته ووجوده إلا بمفرده، ولو بطريق صوتي غير مباشر:

النســاء ← امرأة، الخيل ← فرس، الجيش ← جندي،... اللَّاؤُون ← الذي،... وهي وحدات قليلة جداً، يوجد جمعها من غير لفظه،... وليس هذا بابه.

**4-4) تعبير القرآن باللسان بدلاً من اللغة**

ومـا يهمنـا مما مضى كله أن القــرآن عبّر باللسان عن تواصلات القوم بدلاً من اللغة، كقوله تعالـى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ ﴾ المائدة: ٧٨

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾ إبراهيم: ٤

﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ ١٠٣ ﴾ النحل: ١٠٣ ﴿ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥ ﴾ الشعراء: ١٩٤ – ١٩٥ ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤ ﴾ القصص: ٣٤ ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ١٢ ﴾ الأحقاف: ١٢ ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧ ﴾ مريم: ٩٧ ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٥٨ ﴾ الدخان: ٥٨ ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢ ﴾ الروم: ٢٢

**5-4) اللسان بين السور المكية والمدنية**

ومما لفت انتباهي، وأنا أحاول أنْ أَشْحَذَ ذهني، وأُحِيلَ على تحصيلي، أني لاحظت أن كلمة اللسان بمدلولها الدال على التبليغ، إرسال وتَلَقٍّ زاد ورودها على الضعف في السور المكية منها في السور المدنية، حيث تواتر اللسان سبع عشرة مرة في السور المكية، بينما اقتصر وروده ثماني مرات في السور المدنية، علماً بأن سورة مثل سورة الشعراء، وهي مكية، تتكون من سبع وعشرين ومائة آية.

ولعل أهمّ مما أُلْمِح إليه في الإحصاء المشار إليه آنفاً، أن اللسان بوصفه مصطلحاً يرأس كل اللهجات والأشتات اللغوية العربية الفصيحة رئاسةً عامةً، تَوَاتَر بشكل لساني واضح في السور المكية، بل حتى تعبير القرآن عن ألسنة البشر التي تعدّ بالألوف ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ٢٢ ﴾ الروم:٢٢ ورد في سورة الروم (آية: 22) وهي مكيّة، على أن معاني اللسان الواردة في آيات السور المدنية تشير إلى اللسان كجارحة تؤدّي وظائف صوتية كلامية، كأية حاسة من الحواس، أو عنصر من عناصر الجسد:

- ﴿ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٩ ﴾ الأحزاب: ١٩
- ﴿ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ١٥ ﴾ النور: ١٥
- ﴿ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٨ ﴾ آل عمران: ٧٨

﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ النساء: ٤٦

- ﴿ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ النور: ٢٤
- ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١١﴾ ﴾ الفتح: ١١
- ﴿ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الممتحنة: ٢

ومع ذلك، فإن السور المكية لم يَخْلُ بعضها من تعاقب كلمة اللسان فيها بمعنى مجازي أو صريح دلالةً عليه كجارحة[29]،وهذه المعاني تحتاج إلى حقول دلالية والإحالة إلى مرجعيات تاريخية ودينية وثقافية لإمكان بيان ما يتيسّر بيانُه منها، لأن ما يهمنا هنا، كما سبق أن ألمحت، اللسان كمنظومة صوتية نوعية مكوّنة من علامة متمفصلة مؤَهَّلة لإرسال مرسلات إنسانية.

**5) حكمة القرآن من استعمال اللسان بدلاً من اللغة**

ولنقف على عظمة القرآن وحكمته البليغة في استعمال اللسان بدلاً من اللغة، فحسْبُنا أن نحيل على آخر ما جدّ في حقول علم اللغة الحديث، لنتبيّن ما وصل إليه العلماء الغربيون من اقتناعات بشأن مصطلح اللسان من جهة واللغة من جهة أخرى، فضلاً عمّا اتصل بهما من عناصر لسانية أخرى، كالكلام مثلاً.

**5-1) تعريفات لسانية عامة للغة**

مما ورد حديثاً بشأن اللغة le langage أن تعريفها غالباً ما يكون تعريفاً، ارتيابياً "لإعطاء إحساس باضطراب فكري كبير، يكفي أن نَحْشُدَ عدة تعريفات لها، غير أن لسانياً un linguistique ينتهي دائماً بتعريفه للغة، لأن كل تعريف يعكس المستوى الذي نبلغه في تنظيم معرفتنا للأشياء والوصف وتصنيف الوقائع، وتحديد الميدان، والمعايير المستخدمة"[30].

ومنذ عقود من الزمن أضحت تعريفات اللغة تنطلق من التصور للسان la langue كنظام من العلامات المستعملة بهدف إقامة التبليغ "غير أن هذه التعريفات سبق لها أن صارت رِخْوة جداً بالنسبة لمعرفة اللغة المتناولة من قبل اللسانيات الراهنة، وإذا كانت مُرْضِية فعلاً، فإنه كان من الواجب أن تكون قادرة على تقديم المعايير لنوعية الألسنة الإنسانية (أو بعدم نوعيتها) تُجاهَ كل الأشكال الأخرى للتبليغ، وبالأخص التبليغ الحيواني"[31].

واللسانيون الأكثر حداثة في الغرب لا يريدون أن يذهبوا إلى أبعد مما ذهب إليه نظراؤهم منذ القرن الثامن عشر، بأن الإشكال بين التبليغيـن: الإنساني والحيواني، يكمن في أن لساناً une langue يقدّر حواشي من الأفكار تعدمها

الحيوانات، لكن هذا الأمر لم يُفْصَل فيه فصلاً صارماً حتى وقتنا الحالي، ولم تخرج اللسانيات الحديثة بعدُ من مأزقها الموروث "وإذا كانت اللغة le langage نظاماً من العلامات، فإن كل نظام من العلامات مُسْتَعْمَلٍ بوساطة الكائنات الحية للتبليغ يجب أن يسمّى لغة: يمكن أن نتكلم عن لغة حيوانية، وساعتها فلا نبرّر هذا الشعور العامّ بدافع أن الألسنة البشرية تنماز عن كل الأنظمة الأخرى للتبليغ البشري أولا تتميّز، وأنّ هذه الأنظمة من العلامات مختلفة اختلافاً عميقاً عن جميع الأنظمة الأخرى، ودون القول قطعاً من الناحية العلمية: لماذا؟"(32).

ولا تتردد الأعمال اللسانية الأكاديمية، ومنذ عقود من الزمن، في وصف اللغة le langage بأنها، بالمعنى الواسع، يُعْنَى بها كلُّ وسيلة من وسائل الاتصال المستعملة من قبل طائفة بشرية أو حيوانية لإرسال مرسلات des messagess، واللغة المركَّبة من وحدة دنيا تُسَمَّى علامات signes أو إشارات signaux، ومن ثم، فإن مصطلح le terme اللغة يمكن أن يُشير "إما إلى أنظمة علامية (أو إشارية) "مباشرة" أو طبيعية (مثلاً: اللغة الإنسانية المُمَفْصَلة articulé، لغة الدلافين، لغة النحل الخ)، وإما يُشار بها إلى أنظمة "ثانوية seconds"، أي مُعَدَّة انطلاقاً من اللغة الإنسانية المُتَرْقَنة transcodé إلى نهايات نوعية للتبليغ (مثلاً: قانون المرور، رموز إشارات)"(33).

**2-5) تعريف اللغة كنظام من العلامات**

هذا بالنسبة لمفهوم اللغة الواسع بشكلها "المباشر" أو الطبيعي، وبمظهرها "الثانوي" المترجم إلى قانون مختلف، كلغة الإشارات الممارسة يومياً في أية ثقافة عامة أو خاصة خارج اللغة المُمَفْصَلة، وأما بالنسبة لمفهومها كنظام من العلامات المباشرة أو الطبيعية، فإنها تفترض "متكلماً un sujet parlant وتُشرِك ظواهر مرتبطة بنقل مرسلة داخل سياق فضائي - زمني والمسمَّى ثقافياً مَقَاماً situation، وعليه فإن دراسة اللغة تشمل مظاهر نفسية (علماء النفس يتحدثون عن النشاط اللغوي)، واجتماعية، وأنثروبولوجية، وحتى نفسية تحليلية"(34)، وهذه المظاهر المشار إليها غير لسانية، لأنها تنماز عن تلك التي تتصل بها، سواء كانت هذه اللغة إنسانية أو غير إنسانية.

وممن خاض هذا الموضوعَ العالِمُ اللساني الفرنسيُّ أندري مارتني الذي قال:"غير أنه من المحتمل أن مفهوم اللغة المُمَفصلة قد يبدو لبعض الناس شيئاً آخر غير الوضوح لتتباعات صوتية، الأمر الذي يستدعي تمييز اللغة الإنسانية عن أشكال النشاط المتَّصل بها عند الكائنات الحية الأخرى، والممكن أن تَسْتَهْوِيَنَا بتسميته أيضاً "لغة"(35).

وبعد أن يشرّح أندري مارتني الخصوصيات التي تجعل تبليغاً لسانياً، وآخر غير لساني، من خلال ما عُرِف عنده بالتلفظ أو التمفصل المزدوج double articulation، فإنه ينتهي إلى القول: "حين يتعلق الأمر بمصطلح "اللغة le langage"، فإنه لا يبدو صَعْباً أنْ يتزامن الاستخدام العامّ إلى جانب استخدام عِلمي للكلمة التي ترضي اللسانيّين، ومن ثَمَّ فإن الكلام العادي "اللغة" يشير على نحو ملائم، إلى الملكة التي يتفاهم بها الناس بواسطة au moyen علامات صوتية، ما من شك بأننا نتحدث عن لغة الورود ولغة البهائم والدواب، لكن هذه الإطلاقات تبقى مجازية، إذ يجب، وفي كل الحالات، تعيين "ورود" أو "دواب"، بينما اللغة تدلّ دائماً على ملكة إنسانية، ليس أكثر، والنماذج المتعدّدة لهذه اللغة

مُسَمَّاة "ألسنة". أي ليس هناك "ألسنة ورود" أو "ألسنة دواب"، وهذه اللغة الإنسانية التي تتحقق تحت شكل الألسنة المتعدّدة تشكل الموضوع الحصري لأبحاث لسانية دقيقة"(36).

وأما إدوارت سابير Edwârd Sapir، وبعد أخذ ورد، فينتهي إلى إعطاء تعريف للغة لا يختلف عما سبقت الإشارة إليه، أو نجده عند مجمل اللسانيّين المحدثين، ولكنه يختلف عنهم في الاستفاضة بربطها بالإنسان "الطريق الآن أمامنا ممهَّد، ونستطيع أن نحاول إعطاء تعريف صحيح للغة التي هي في منظورنا وسيلة إنسانية للتبليغ ليس إلا، وليست غريزية، للأفكار، والعواطف والرغبات محقَّقةً بواسطة نظام من الرموز المبتكرة لهذا الغرض، وهذه الرموز، بادئ ذي بدء، مسموعة ومنتجة بوساطة ما يسمَّى بـ"أعضاء الكلام"، فالتعبيرات الغريزية والوسط الطبيعي الممكن تأثيرهما أحياناً تأثيراً معتبراً في عدة مظاهر من اللغة، والميولات الغريزية وغيرها، يمكن أن تقودنا، في بعض الوجوه، إلى تكييف التعبير اللساني، لكن حتى لو سلّمنا بهذا، فإنه لا توجد قاعدة فطرية يُمكِنُ تمييزُها في اللغة الإنسانية، نعم توجد تبليغات إنسانية أو حيوانية (إن كان الأمر كذلك يُمَكّننا من تسمية ذلك تبليغاً) هي نتيجة لِصُياحات غريزية، لكن هذا قطعاً لا يسمّى لغة بالمعنى الذي نسمعه"(37).

**3-5) تعبير القرآن باللغة في غير مواضع اللسان**

والقرآن الكريم عبّر عن اللغة بدلاً من اللسان في مواطن عدّة، منها:

- ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ الإسراء: ٤٤

- ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ ﴾ النمل: ١٧ – ٢٣

**6) علم اللسان الحديث يثبت ما جاء في القرآن**

**1-6) كل الكائنات تتواصل**

إن هذه الآيات أثبتها علم اللسان الحديث، بأن الكائنات الحية تتواصل فيما بينها بلغات تخص كل فصيلة من فصائلها، وكل ما في الأمر أن لغتها تفقد ما أسماه أندري مارتني التمفصل المزدوج الذي هو ظاهرة صوتية ودلالية بشرية، فخطاب النملة للنمل: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ النمل: ١٨ لا تقبل التحليل إلى أصغر وحدة دالة (مونيمة) ولا إلى وحدات صوتية تمايزية غير دالة

(فونيمة)، بل هي الكلّ في الكل، وبعبارة أخرى، فإن تبليغاً حيوانياً لا يقبل القسمة على اثنين، ولئن لم يكن يقبل صفة اللغة بمعناها الصوتي البشري، فإنها تواصل لغوي خارج طاقة البحث اللساني لتحديده، وتَنَوُّعُ اللغات الحيوانية والأشياء التي لا نفقهها، كما أخبرنا القرآن، تَنَوُّعٌ لا يختلف عن تنوع لغات الإنسان، لكنْ لكلٍّ حُدُودُه ومجالاته، ولو قُدِّر لهذه الكائنات أن تكون لها ثقافة اجتماعية لما عجزت عن التواصل فيما بينها، لكن قانون الطبيعة والغاب لا يرحم.

**2-6) بين لغة البشر ولغة الحيوان**

وحتى لا يبقى عملنا مجرد تخمين، فإنّا نجمل ما توصّل إليه علماء من آراء ونتائج مذهلة، وهم يقارنون التواصل بين لغة البشر ولغة الحيوانات، حيث أعلنوا أن معدّل الفونيمات في كل لغة من لغات البشر يتراوح ما بين 30 و40 فونيمة، وكشفت أبحاث علماء علم النفس الحيواني عن وجود عدد من الفونيمات يقارب هذا العدد من الوحدات الصوتية الأولية في النظم الإشارية للحيوانات مثل الشيمبانزي والدولفين"[38].

ويرى العلماء أن هذا التوافق بين عدد الفونيمات المتقارب من لغة البشر ولغة الحيوان ليس عَرَضِياً "ذلك لأن الفوارق اللغوية بين البشر إنما ترجع إلى أن الوحدات الأولية أو الفونيمات تتركب في شكل مقاطع وكلمات وجمل، وهذا ما لا يحدث بالنسبة للحيوانات، فصيحات الإشارة عند الحيوانات خِلْوٌ من قواعد النحو أي قواعد ربط الفونيمات وتركيبها في شكل وحدات لغوية أكثر تعقيداً[39].

ويفسّر الخبراء أن عدم ربط الحيوانات للفونيمات وتركيبها أسوة بالإنسان، إنما يرجع إلى أن حيوانات مثل الدلافين والشيمبانزي تشعر بأن بضع عشرات من الأصوات تكفيها لتبليغها، فما الذي يضطرها إلى أفكار ومفاهيم معقدة؟ ولكن هذا الحكم يظل ضبابياً إذا لم نستوضحه من القرآن الكريم الذي يخبرنا أن الله كـرّم بني آدم وفضّلهم على كثير مما خـلق ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ الإسراء: ٧٠، ومن النعم التي كُرِّم بها الإنسان، وهي كثيرة ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٤ ، احتواء مخّه أضعاف وأضعاف مخ الحيوان.

وتوصّل أحد علماء فسيولوجيا وسيكولوجيا الكلام قبل عقود من خلال دراسة تحليلية لصوت النظام الإشاري عند القردة المعروفة باسم الرُّبَّاح[40]، والتزام صارم بما انتهى إليه علم اللغة الحديث، إلى نتيجة أبهرت المهتمين بدراسة لغة الحيوان، فالعالم (ن.أ. جينكين) قاس صيحات الرُّبَّاح بجهاز تسجيل الذبذبات مستعيناً بجهاز القياس الطيفي لعمل تحليل ميكروسكوبي للأصوات، وبجهاز أشعة رونتجين لقياس الكلام، وبعد تسجيلات دقيقة ومضبوطة لتصرفات النطق الصادرة عن حلق الرباح، وهو يتواصل مع بني جنسه، ثبت لديه أمر عجب، وهو أن العوامل الفونولوجية التي حددها اللسانيون المحدثون في اثني عشر عاملاً زوجياً والتي تشترك فيها كل اللغات البشرية، تصْدُق أيضاً على لغة الرُّبَّاح[41].

**7) اللسان إطلاق عامّ**

**1-7) اللسان أعمّ من اللغة**

هل ما زِلْتَ في تساؤل من أمرك: لماذا عبّر القرآن عن عملية التبليغ البشري باللسان، ولم يعبّر عن ذلك باللغة؟ وهل مازالت الأفكار تختلط عليك، إذا قلت لك، بأن القرآن أوضح لنا ممّا لا يُبْقِي ولايَذَرُ خيطاً أسود من أن اللسان إطلاق عامّ، بينما اللغة تعبير أخص، أي كل لسان لغة، وليست كل لغة لساناً؟ قد تجادل، ومن حقك، بدافع أننا تحدثنا معاً بشأن اللغة إلى حد ما، ولكننا لم نُبْدِ إلا إشارات غيْر مباشرة عن اللسان مصطلحاً، زيادة على أن الحدود لا تتضح بين هذه الثنائية اللسانية إلا بمقارنة هذه بذلك، أو ذاك بهذه.

**2-7) تعريفات عامة للسان**

وإذاً، فما هو اللسان من حيث كونه مصطلحاً مُمَارَساً؟ فبالنسبة للسانيين الغربيين المحدثين أنهم لا يختلفون كثيراً في ماهية اللسان، غير أنهم كلهم عالة على التراث اللساني الديسوسوري الثريّ.

**1-2-7) تعريف جورج مونان**

يعرّف جورج مونان اللسان بأنه "كلُّ نظامٍ من العلامات الصوتية المزدوجة التمفصل خَاصٍّ بمجموعة بشرية مسلَّم بها، فالألمانية الأدبية،... والألزاسية، والبروتونية، وكْرِيّول غوادولوب[42] ألسنة بالطريقة نفسها"[43]،غير أنه يضيف "ليست لنا مصلحة لتسمية لسان أو لغة نظاماً للتبليغ الإنساني (رسم بالإلوان، موسيقى، سينما، إلخ) أو الحيواني (نحل، دلفين، إلخ) الذي لم نبرهن عليه بأنه مُبَنْيَنٌ structuré مثل الألسنة الطبيعية الإنسانية"[44].

**2-2-7) تعريف جون دبوا**

وأما جون دبوا JEAN DUBOI، فقد جاء عنده أن اللسان la langue بالمعنى الأكثر شيوعاً أداة للتبليغ، ونظام من العلامات الصوتية النوعية المتداولة وسط مجموعة، ويرى أننا نسمّي اللسان الأمومي ذلك اللسان المستخدم في البلد الأصلي للمتكلم، أي ما اكتسبه هذا الأخير منذ طفولته خلال عملية تدرّبه على اللغة[45].

ويشير دُبْوا إلى أن التغيرات داخل لسان بذاته ذات شأن خطير، ولذا فإن اللسانيين تجدهم يتحدّثون من الناحية التزامنية عن مستويات اللسان مثلما يتكلمون عن اللسان الشائع، والرفيع، والتقني، والعلمي، والشعبي الخاص بعدة طبقات اجتماعية، فضلاً عن أنواع لهجية إقليمية وفرعية أخرى،...[46]، لكن دبوا كغيره من اللسانيين الغربيين المحدثين، لم يأت بشيء جديد خارج مدارك ونظريات اللساني السويسري دي سوسور.

**3-2-7) تعريفات دي سوسورية**

ومما نَظَّره دي سوسور المسمَّى عند الغربيين أبا اللسانيات الحديثة بشأن اللسان أنه يشكّل مظاهر اللسان البشري كافة، سواء تعلق الأمر بشعوب بدائية أم حضارية، على أن نأخذ في حسباننا طوال الحقب المتتالية كل شكل من أشكال التعبير مجتمعة[47]، وأشار إلى أن للسان جانبين: أحدهما فردي، وآخرهما اجتماعي، ولا يمكن تصور أحدهما من دون الآخر، ويفترض اللسان دوماً نظاماً قائماً وتطوراً في وقت واحد، ويمثّل مؤسسة راهنة، ونتاجاً للماضي، منبّهاً على عدم

الخلط بين اللغة واللسان، رغم كون الأولى ليست إلا جزءاً جوهرياً محدداً من الثاني، وأنهما في الوقت نفسه ليست إلا نتاجاً اجتماعياً لملكة الثاني[48].

وأوضح هذا المنظّر اللساني الرهيب أن اللسان يمتدّ إلى أصعدة مختلفة (فيزيائية، فيزيولوجية، نفسية) في آنٍ واحد الأمر الذي يجعل تصنيفه صعباً في أية فئة من الوقائع البشرية، لكن هذه الصعوبة لا تكمن في اللسان ذاته بقدر ما تكمن في قصورنا وعجزنا عن معرفة اكتشاف وحدته، خلافاً للغة التي هي كل في حد ذاتها، وأنها هي التي تصنع وحدة اللسان، سوى أن ممارسة اللسان ترتكز على قدرة تكسبنا إياها الطبيعة، في حين أن اللغة ظاهرة اجتماعية متواضع عليها، ولعل أبرز جملة جاءت عند دي سوسور قوله: "الكل الشمولي للّسان لا يدرك، وذلك لكونه غير مماثل"[49].

**8) علاقة القرآن بعلم اللسان**

**8-1) المعجزة الصوتية في القرآن**

إننا كثيراً ما ننبهر بنظريات غربيّة تستحق أن تُبْهرك، ولكننا قلّما نعود إلى أنفسنا، وإلى ما وهبنا الله في كتابه العزيز من إشارات يمكن للّبيب أن يتخذها منطلقاً لبحثه، ومن هذه الإشارات كلمات وردت فيه أصبح علم اللغة الحديث يردّدها ويختبرها، ومنها: اللسان، والكلام، والكلمة، والأصوات، والهمس، والسماع، ﴿ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ طه: ١٠٨ ، منطق الطير، النطق، التأويل،... ومع ذلك، فإننا نكرّر ما أومأنا إليه آنفاً، بأن القرآن هو كتاب هداية لِمَا لا يتسطيع أي علم دنيوي أن يهدي من هداهم الله إلى نجده السويّ.

ولعل أحداً يرمي إشارتنا السابقة باحتواء القرآن الكريم على معلومات لسانية، بالخبل أو العاطفة العائمة، مما يحتّم علينا لفت النظر إلى جزء من هذه المعلومات، من ذلك أن الأصوات التي بُنِيَ عليها كلام العرب تسعة وعشرون صوتاً (حرفاً)، وعدد السور التي ابتدأت بالأصوات العربية مجهورة ومهموسة ثمانٍ وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه الأصوات في أوائل السور من حروف المعجم أربعة عشر صوتاً "لِيُدَلَّ بالمذكور على غيره، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم[50].

وورد نصف الأصوات مذكوراً في جملة الأصوات المفتتح بها أوائلُ السور، والنصف الآخر مجهور، دون زيادة ولا نقصان، مثلما اشتملت أوائل السور على نصف الأصوات الحلقية، ونصف آخر ليس مما يدخل في أصوات الحلق "فإن كان أصل اللغة توقيفاً فالأمر في ذلك أبينُ، وإن كان على سبيل التواضع فهو عجيب أيضاً، لأنه لا يصحّ أن تجتمع هممهم المختلفة على نحو هذا إلا بأمر من عند الله تعالى"[51].

وإنما تقدّمت اللسانيات العربية القديمة ذلك التقدم المتشعب الهائل، باستثمارها ما ورد في القرآن منظوماً نظماً لم يعهده العرب، وهو يدور في فلك عربيتهم، وذلك بفضل علماء نحارير جمعوا بين علوم اللسان وممارسة القراءات القرآنيّة.

**8-2) اللغات منضوية تحت اللسان**

أياً كان الأمر، فإن علم اللسان الحديث يتداول مصطلحات لسانية لا تغرب عناصر منها مما ورد في القرآن، ومنها تعبيره باللسان بوصفه نسقاً يشمل مختلف المنطوقات العربية من لهجات، وتكلمات، وهي كثيرة، إذ ذكر السيوطي نقلاً عن

أبي بكر أن في القرآن من اللغات خمسين لغة، دون ما ورد فيه من ألفاظ أعجمية[52] كانت عُرِّبَت ومارسها العرب فيما بينهم قبل نزوله.

من غير المنطقي أن تسمَّى وحدات لغوية شاردة هنا وهناك بين هذه العشيرة أو تلك باللسان، والأمثلة على ذلك كثيرة، فمما أخرج أبو عبيد عن الحسن أنه قال "كنا لا ندري ما الأرائك، حتى لَقِيَنَا رجل من أهل اليمن، فأخبرنا أن الأريكة عندهم هي الحَجَلَة فيها السرير"[53]، وأخرج عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ ﴾ القيامة: ١٥ ، وأُخْرِجَ عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ ﴿٥٤﴾ ﴾ الدخان: ٥٤ قال هي لغة يمانية، لأنهم يقولون: زوّجنا فلاناً بفلانة، لأن أَزْدَ شَنُوءَةَ تعدّي هذا الفعل بالباء[54]، ومما يُسْند إلى ابن عباس أنه قال: "كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض؟ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أنا ابتدأتها"[55].

ما ذكر أعلاه من وحدات لغوية، ومثلها الفوارق الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية،... بين العرب، إنما هو لغات، لكنها منضوية تحت هيمنة منظومة لسانية موحّدة، هو اللسان العربي، ولذلك نجد بعض المتنورين يشرح السبعة أحرف بقوله: "وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه،... ولكنه عندنا أنه نزل سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب، فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة، والثاني بلغة أخرى، سوى الأولى، والثالث بلغة أخرى سواهما كذلك إلى السبعة، وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض"[56].

وإضافة إلى النص السابق، فإن هناك من نقل عن ابن عباس أنه قال: "نزل القرآن على سبع لغات، منها خمس بلغة العجز من هوازن"[57]، وأوضح أبو عبيد أن العجز هم بنو أسعد بن بكر، وخيثم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف، وهم علياء هوازن الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب علياء هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم"[58]، وأما اللغتان الأخريان المكمِّلتان للغات الخمس المشار إليها، فلغتا قريش، وخزاعة، ويبرّر بعضهم في ضوء هذا التحديد القبلي الجغرافي قولاً نسبوه لعمر بن الخطاب: "لا يملي في مصاحفنا إلا غلمان قريش أو ثقيف"[59].

إننا لا نخوض في معنى السبعة أحرف التي ما خاض فيها خائض قديم أو حديث، إلا خرج مُقَصِّراً وحسيراً، حتى وإن كنا ممن لا يقول بنزول القرآن بلغة قريش وحدها، وهي جزء من اللسان العربي المجمع عليه بين العرب، ولكن الخوض فيه جاء بنيّة عرضه على المحك اللساني العامّ الذي يميّز بين اللغة من جهة واللسان من جهة أخرى، ولذا قال بعض العلماء المتنورين (القاضي الباملاّني): "معنى قول عثمان إنه نزل بلسان قريش أي معظمه، ولم يقم دليل على أن جميعه بلغة قريش كله، قال تعالى: ﴿ قرآناً عربياً ﴾ ولم يقل قرشيًّا، قال: واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولاً واحداً، يعني حجازها ويمنها"[60].

وإذاً، فالقصد من هذه الإحالات محاولةُ بيان أن التعبير باللسان في القرآن تعبير لا يشير إلى لغة بعينها، لأنه إطلاق شامل يراد به كل ما ورد فيه من لغات عربية دانية وقاصية، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ فصلت: ٣ ، وكقوله جلّ ثناؤه: ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن

مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ فصلت: ٤٤ ، إلى غير ذلك من الآيات البيّنات التي تقطع بعمومية اللسان الذي نزل على سيد المرسلين، وهو ما يذهب إليه علم اللسان الحديث الذي لا يساوي بين منظومة لغوية ومنظومة لسانية، سواء كان معنى الحرف الوارد في الحديث لغة أم دالاً على شيء آخر، ولكن مما نميل إليه أن الحرف أقرب إلى مدلول اللغة منه إلى اللسان، بينما لا نشك في أن الأحرف السبعة أقرب إلى مدلول اللسان منه إلى اللغة:

أحرف < سبعة أحرف {لغة أو لغات {مجال لساني حصري

السبعة أحرف

أحرف ≤ سبعة أحرف {لسان {مجال لساني شمولي

**3-8) مقارنة بين اللغة واللسان**

والفرق الذي يمكن أن نسجله بين اللغة واللسان أن اللغة le langage تشمل لغة محددة أو لهجة أو حتى تكلماً فردياً (لهجة فردية) idiolecte، في حين أن اللسان شمولي لأنه يُعْنى به منطوق كل ما ينضوي تحته من منطوقات، ولذا فقد يتوسع مفهوم هذا المصطلح ليشمل منطوق كل اللغات أي النظام الذي يَعُمّ مختلف اللغات الإنسانية المنطوقة، على حين أن اللغة بمقابلتها باللسان لا تمثّل إلا منطوقاً خاصاً بفئة من الفئات، حتى ولو كانت هذه الفئة مما يتصل بفصيلة حيوانية أو كائنات حية أخرى، ربما سيتوصّل العلم يوماً للوقوف على أنها ترسل فعلاً إشارات ذات دلالات تواصلية، ولكنه لن يتوصّل إلى التواصل معها، ولا يشبه هذا الطموح المستحيل إلا الطمع في إحياء الموتى، لسبب بسيط وهو أن معجزة الخالق لا تتكرر من مخلوق، وأكثر من ذلك أن "اللغة بشكلها الاجتماعي لا توجد عند الفرد إلا جزئياً، ولا تكتمل إلا عند الجماعة[61].

ولعل ما نراه جديراً بالاضافة إلى التمييز بين اللغة واللسان، أن الأولى "بنية قائمة بذاتها مكتفية بنفسها تتطلب أساليب تحليلية خاصة بها[62] على حدّ ما جاء عند لويس هلمسليف مؤسس حلقة كوبنهاغن اللسانية[63] معتنقاً رأي دي سوسور القائل "اللغة شكل، وليست مادة"[64]، ولذا يجب أن نتعامل مع اللغة بناء على شكلها أو صورتها الصوتية التلفظية، في حين أن الثاني (اللسان) يشمل عالم المعاني والدلائل، وهو عالم مدلولي لا يخص لغة دون لغة، بما في ذلك اللغات المسماة "بدائية" فاللغة فضاء داخلي يتمحور في فلك تكلمات وتواصلات حصرية، كاللغة العربية، واللغة الألمانية،... بينما اللسان فضاء أشدّ بَوْناً وشساعة، ولذا فإن تسمية اللسان باللغة أو العكس بدعة من اصطلاح المتأخرين لا المتقدمين، ولربّما عبّر العرب باللسان عن الرسالة، كقول مُرَقِّشٍ الأكبر[65]:

أَتَــتْــنِـي لــســانُ بـني عـامــرٍ فَجَـلَّـتْ أحـاديـثُـهـا عَنْ بَـصَــرْ

أجل، عوالم اللغات في وضعها الميتالساني "تكاد تقول الشيء نفسه بالنسبة لمعانيها، إذ لا يتصور عاقل واعٍ أن ما يحيط بعالم لغة في زمان ومكان متزامنين أو حتى متباينين مختلف اختلافاً جذرياً أو جوهرياً بين لغة يجهل أصحابها لغة أو لغات أخرى، وإذا ما وجد هذا الاختلاف المتنامي فعلاً في مستواه الدلالي العامّ أو الخاص، فلن يكون خارج لغة بذاتها،

ولا صلة له بما يتنامى في لغة أو لغات أخرى في وقت واحد أو مختلف، وهنا تكمن إحدى صعوبات الترجمة بل صعوبة شرح نص على مستوى لغة بعينها في غير أوانه"[66].

ومما كنا ذكرناه أيضاً في بحثنا "العربية ورهانها العولميُّ لسانياً"[67] أن اللسانيين توصلوا إلى ملاحظة تشابهات لا يستهان بها فيما يخص التنظيم السطحي للأسنة البشرية في بنياتها، ولاسيما في البنيات الفونولوجية والنحوية والدلالية، لأننا نجد في كل الألسنة التمفصل المزدوج، أي التمفصل على مستوى الوحدة الدالة (المورفيم، والوحدة الصوتية التمايزية (الفونيم)، مثلما لاحظ العلماء أن عدد الفونيمات المستعملة بين الألسنة غالباً ما يكون أقلّ من خمسين فونيمة، فضلاُ عن الفصائل السانتكسية (فعل، اسم، حرف،...) وعلاقة المسند إليه بالمسند أو الموضوع بالمحمول،... وهل بقي سرّ في استخدام القرآن مصطلح اللسان الدال على الرحابة والشمول بدلاً من مصطلح اللغة المراد به ظاهرة تواصلية لفئة اجتماعية بعينها؟

**مكتبة البحث:**


- المقدمة، عبد الرحمن بن خلدون، دار الفكر، بيروت، ط: 2006/1.
- مروج الذهب، المسعودي، دار الأندلس، بيروت، ط: 1965/1.
- الأصوات والإشارات، أ. كندراتوف، ترجمة شوقي جلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط، 1972.
- علم اللغة: نشأته وتطوره، محمود جاد الرب.
- الفاضل، المبرد، دار الكتب المصرية، ط: 1956.
- طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط: 1973.
- نور القبس المختصر من المقتبس، المرزباني واختصار اليغموري، تحقيق رودولف زلهايم، دار النشر شتاينز بقيسبادن، ط: 1964.
- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون. مؤسسة الخانجي بالقاهرة، ط:3/ د.ت.
- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني –القاهرة، ط: 1974.
- المصباح المنير، الفيومي، المكتبة العلمية بيروت.
- المذكر والمؤنث، الفرّاء، تحقيق رمضان عبد التواب، مطبعة قاصد خير، القاهرة، ط:1975.
- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين –بيروت، ط: 1984/3.
- محاضرات في الألسنية العامة، فريدناندي دي سوسور، ترجمة: يوسف غازي، مجيد النصر، دار نعمان للثقافة –بيروت، ط: 1984.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، السيوطي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط: 1963.
- فضائل القرآن، إسماعيل بن كثير، دار الأندلس، بيروت، ط: 1966.

- الموقف الأدبي (علم اللغة لدانييل مانيس)، اتحاد الكتاب العرب بدمشق العددان: 135-136/1982.
- الراهن والمأمول، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، 2009.
- La linguistique (guide alphabétique) sous la direction d'André martiner.
- Dictionnaire de didactique des langues, R. Galisson /D. Coste Hachette, Paris, 1976.
- Linguistique synchronique, André martinet presse universitaire de France, 4e éditions, Paris, 1974.
- Le langage, Edwards Sapir, éditions Payot, Paris.
- Dictionnaire de la linguistique. George Mounin, presse universitaires de France, paris, 1974.
- Dictionnaire de linguistique, Jean Dubois, Librairie Larousse, Paris.

**الهوامش**

[1]- المقدمة، ص: 504، ابن خلدون.

[2]- مروج الذهب، 1/ ص: 53. المسعودي.

[3]- نفسه، 2/ ص: 110.

[4]- راجع الأصوات والإشارات، ص: 140 – 142 كندراتوف، ترجمة شوقي جلال.

[5]- علم اللغة نشأته وتطوره، ص: 10. د. محمود جاد الرّب.

[6]- الفاضل، ص: 4. المبرد.

[7]- طبقات النحويين واللغويين، ص: 11. الزبيدي.

[8]- الفاضل، ص: 4. المبرد.

[9]- كتاب نور القبس المختصر من المقتبس، ص: 2. المرزباني واختصار اليغموري.

[10]- نفسه، ص: 2.

[11]- نفسه، ص: 2.

[12]- الفاضل، ص: 4.

[13]- طبقات النحويين واللغويين، ص: 13.

[14]- نور القبس، ص: 3.

[15]- نفسـه، ص: 3.

[16]- نور القبس، ص: 3.

[17]- نفسـه، ص: 3.

[18]- الفاضل، ص: 5.

[19]- الفاضل، ص: 5.

[20]- البيان والتبيين، 1/ ص: 167. الجاحظ.

[21]- علوية نسبة إلى العالية (على غير قياس)، وهي كل ما كان جهة نجد من أرض الحجاز، وأهلها فصحاء العرب.

[22]- طبقات فحول الشعراء، السفر الأول/ ص: 9 محمد بن سلاّم الجمحي.

[23]- محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو جعفر الباقر (60-118ه).

[24]- طبقات فحول الشعراء، 1/ ص: 10.

[25]- نفسه، ص: 11.

[26]- راجع مثلاً، المصباح المنير، ص: 553. الفيومي.

[27]- المذكر والمؤنث، ص: 74. الفرّاء.

[28]- الصحاح، 6/ ص: 2195. إسماعيل بن حماد الجوهري.

[29]- سورة مريم، آية: 50، الشعراء، الآيتان: 13، 84، البلد، آية: 9، القيامة، آية: 16، طـه، آية: 27، النحل، آية: 62.

[30] - La linguistique (guide alphabétique), p : 162. Sous la direction d'André Martinet.

[31]- نفسه، ص: 163.

[32]- المرجع السابق، ص: 164.

[33] - Dictionnaire de didactique des langues, p : 105 – 106.

[34]- نفسه، ص: 106.

[35] - Linguistique synchronique, p : 8. André Martinet.

[36]- المرجع السابق، ص: 18.

[37] - Le langage, p : 12. Edward Sapir.

[38]- الأصوات والإشارات، ص: 194.

[39]- الأصوات والإشارات، ص: 194.

[40]- في المعاجم العربية (الصحاح: 363/1) أن الريّاح بالضم والتشديد الذكر من القرود.

[41]- الأصوات والإشارات، ص: 187، 189، 191، 196.

[42]- Créole de la Guadeloupe أي اللغة المزيج لهذه الطائفة المتكلمة.

[43] - Dictionnaire de la linguistique, p : 196 – 197. George Mounin.

[44]- المرجع السابق، ص: 197.

[45] - Dictionnaire de la linguistique, p : 196 – 197. JEAN DUBOI.

[46]- نفسه، ص: 276.

[47]- يراجع: محاضرات في الألسنية العامة، ص: 17. فرديناند دي سوسور، ترجمة: يوسف غازي، مجيد النصر.

[48]- نفسه، ص: 21.

[49]- نفسه، ص: 33.

[50]- إعجاز القرآن، ص: 44. الباقلاني.

[51]- نفسه، ص: 45.

[52]- راجع معترك الأقران في إعجاز القرآن، ق204/1 – 204. الإمام السيوطي.

[53]- نفسه، ص: 199. الحَجَلة كالقبة، وموضع يُزَيَّن بالثياب والسَّتور للعروس ج حَجَل وحِجَال.

[54]- راجع المصباح المنير، ص: 259.

[55]- فضائل القرآن، ص: 34. إسماعيل بن كثير.

[56]- نفسه، ص: 33.

[57]– نفسه، ص: 3.

[58]– نفسه، ص: 34.

[59]– نفسه، ص: 34.

[60]– فضائل القرآن، ص: 38.

[61]– الموقف الأدبي، ص: 219. دانييل مانيس.

[62]– الموقف الأدبي، ص: 215.

[63]– كان ذلك سنة 1935.

[64]– محاضرات في الألسنية العامة، ص: 147.

[65]– المفضليات، ص: 235.

[66]– الراهن والمأمول، ص: 714. منشورات المجلس الأعلى للغة العربية سنة 2009، والنص للباحث نفسه.

[67]– المنشور في المرجع السابق، ص: 705 – 743.